سدير وحرمة ومنيخ

شغلت سدير – أو بعض بلدانها – الدرعية وقتاً طويلاً بحروبهـا ومبايعتها ونكوثها .. ومن الصعب أن يعرف ، على وجه الدقة ، الزمن الذي دخلت فيه تلك المنطقة بكاملها في طاعة عبد العزيز ، فإن المؤرخين النجديين الكبيرين ابن غنام وابن بشر حين يذكران إن مقاطعة ، كسدير مثلاً ، خضعت وبايعت .. فكلامهما لا يعني قط خضوعها الكامل ، أي بكل بلدانها وقراها .

ومهما يكن الأمر ، فإن أول غزوة غزاهـا عبد العزيز إلى سدير كانت عام ١١٨١ ، وفي عام ١١٩٤ غزا الزلفي ، وربما كان هذا العام هو العام الذي يصح اعتباره سنة مبايعة سدير ، وإن كانت الأحزاب قـد استولت على الروضة عام ١١٩٦ لفترة غير طويلة .

ولما كان اسم « حرمة » يقترن كثيراً باسم سدير في المبايعة والردة والحرب رأينا أن نلخص وقائعها في فصل واحد .

غزوة العودة وجلاجل :

في عام ١١٨١ جهز عبد العزيز غزواً وأمر عليه ابن اخيه هذلول بن فيصل – وأشرك معه في الغزو ابنه سعود ، وتلك كانت أول غزوة يشارك فيهـا سعود – وأمره بالمسير إلى العودة ،فسار حتى بلغ البلدة ليلاً ، فأعد كميناً وأوصى رجاله بأن يدخلوا البلد ويستولوا على قلعتها متى خرج أهلها إلى القتال واشتبكوا

مع الغزاة ، وقد نهض رجال الكمين بعملهم على أكمل وجه ، فاستولوا على القلعة ، وبذلك سهل على جنود الموحدين الاستيلاء على البلدة ، وقد سقط في المعارك عدد غير كبير من القتلى ثم نودي بالأمان .

غزو الزلفي :

في العام ١١٨٢ سار سعود بن عبد العزيز على رأس جيش من رجال الدرعية وأغار على بلدة الزلفي في سدير ، وقتل ثلاثة من رجالها ، ثم عاد إلى الدرعية .

وتلك أول غزوة تأمر فيها سعود ، أما غزوة العام السابق فكان فيها تابعاً لابن عمه هذلول .

وقد أطلق ابن بشر على سعود ، في أعقاب هذه الغزوة ، لقباً طريفاً ، هو: « السردال » ، وهي كلمة مستعملة في الجيش التركي بمعنى القائد — ولكنها في التركية تنتهي بحرف الراء لا اللام — سردار — قال : (هذه الغزوة هي أول غزوة لسعود قاد فيها الجيوش إلى القتال ، وصار « سردال » للفرسان والأبطال).

وفي العام ١١٨٨ بعد أن فرغ سعود من قتال الدلم ، توقف قليلاً في الحائر ، وهناك جهز سرية من الموحدين وأمر عليها (عدامة بن سويرى ، وأمره بالمسير إلى الزلفي وغزوها ، فسار اليها ، فإذا بركب من أهل الزلفي خارج من البلد فأغار عليهم وقتلهم ، وكانوا نحو العشرين) [١] .

بيعة المجمعة وحرمة :

وفي هذه السنة — ١١٨٨ هـ . — قدم وفد من أهل حرمة والمجمعة على الدرعية وبايعوا ، ولكنهم اشترطوا إعفاءهم من الجهاد سنتين فقط .

بيعة أهل الحريق :

ووفد على الدرعية في تلك السنة أيضاً محمد بن رشاد الهزاني ووجوه أهل الحريق وبايعوا .

---

(١) ابن غنام .

وفد منيخ والزلفي وأخو الشيخ :

وفي سنة ١١٩٠ هـ . قدم وفد من أهل منيخ والزلفي على الدرعية ، وكان معهم الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ، أخو الشيخ محمد بن عبد الوهاب — وخصمه سابقاً — فأكرمه عبد العزيز والشيخ ووسعا عليه في النفقة فأقام في الدرعية مع عياله وأظهر من الصدق في خدمة الدعوة ما محا سيئاته السابقة [١] . ويقول ابن بشر إن مجيء سليمان كان بطلب من عبد العزيز والشيخ .

ويقول ابن غنام إن وفد منيخ والزلفي قدموا « لتجديد عهد الإسلام » ، ولكنه لا يقول لنا متى كان نكوثهم بعهدهم ..

فتنة في حرمة .. وسدير :

في العام ١١٩١ بلغ عبد العزيز أن جماعة من سدير ومنيخ يستعدون للردة وقتل الموحدين ، فأمر أخاه عبد الله بن محمد ، الجد الأعلى للأسرة المالكة السعودية ، بالسير اليهم ، فأتى [بلاد حرمة في الليل وهم هاجعون ، ففرق عبد الله رجالاً في بروج البلد ومواقفها التي تلي القلعة ، وفي البروج التي تقابل بيبان القلعة ، والجموع في متارسها ، فلما انبلج الصبح ، أمر عبد الله على كل صاحب بندق يثورها ، فثوروا البنادق دفعة واحدة ، فارتجت البلاد بأهلها وأسقط بعض الحوامل ، ففزعوا ، وإذا البلاد قد ضبطت عليهم ، وليس لهم قدرة ولا مخرج ، فأرسلوا الى الأمير عبد الله يستخبرونه الخبر ، فقال : « لا بأس عليكم ولا خوف ، ولكن أميركم عثمان ذكر عنكم أشياء توجب المخالفة وادّعى الحذر على نفسه منكم وعدم القدرة على إنفاذ أمر الدين في بلدكم ، ولا يستقر له فيها قرار إلا برهائن رجال من كباركم ، نأخذهم معنا حتى تخضع رقاب السفهاء ويضرب الدين عندكم بجرانه] .

فلما رأى أهل البلد ذلك لم يكن لهم بد من الموافقة ، وطلب أربعة رجال

---

(١) ابن غنام .

من آل مدلج رؤساء أهل البلد .. وخرج اليه هؤلاء الأربعة ورحل بهم الى الدرعية ، بعد أن بايع له أهل البلد) .

وقد أناخ الأمير عبد الله بن محمد، بعد خروجه من حرمة، في سدير، وأرسل الى أمير الحوطة وأمير العودة يطلبهما اليه وأخذهما معه الى الدرعية ، لأنه تحقق موالاتهما لأهل حرمة على ما هما به من نقض العهد، وأما سويد، صاحب جلاجل، وكانت له ممالأة لهؤلاء ، فتركه عبد الله خوفاً من خلل يقع في سدير .

الفتنة في حرمة والمجمعة :

ويقول مؤرخا نجد : إن رؤساء سدير أجمعوا على الغدر بالموحدين ، ودعوة أهل كل بلد الى قتل مَن عندهم من الموحدين ، وتمهيداً لذلك أرسلوا الى كبار الموحدين المقيمين في المجمعة أن يأتوا الى « حرمة » للتعليم – ففيها متعلمون ومستمعة – فجاء الى حرمة كثير منهم ، ثم أرسلوا الى أمير حرمة ، وكان في نخل له ، يعلمونه بقدوم تلك الجماعة ، وكانوا ينوون البدء بقتله والتخلص منه ، فأعدُّوا له ستة رجال يترصدونه ، فلما قدِم قتلوه .. ثم حبسوا كبار الموحدين كرهائن ، لقاء رهائنهم الذين ذهبوا مع الأمير عبد الله وحُبسوا في الدرعية، ثم ساروا الى المجمعة لقتل مَن فيها من الموحدين ، وإمساك قلعتها والتحصن فيها ، ولكن الموحدين كانوا قد سبقوهم الى القلعة ودافعوا عنها ولم يمكنوهم من اقتحامها، فرجع أهل حرمة الى بلدهم خائبين .

ويقول ابن بشر : إن أمير المجمعة ، حمد بن عثمان ، الممالىء لأصحاب الفتنة ، كان عند باب القلعة ، ومعه عدة رجال من أهل البلد ، فلما رأوا (جمع الرجال قد أقبل ومعهم عدة الحرب وأحسوا فيهم الشر، أغلقوا دونهم الأبواب، فجعلوا ينادون لابن عثمان، وهم خلف الباب، ليفتح لهم.. فأمسك الله على يده ولسانه).

ولما بلغ عبد العزيز ما حدث في حرمة والمجمعة جهز ابنه سعود فسار بأهل العارض الى حرمة ، بينما تبعه مقاتلة من الوشم والمحمل الى منيخ ، وقد حاصر سعود حرمة أياماً ، ثم طلب أهلها منه المصالحة ، فصالحهم ، على أن يطلقوا

الأسرى الذين عنـدهم ، ويطلق هو أسراهم في الدرعية ، وقد قبِل ذلك لأنه كان يخاف من رئيسي المجمعة وجلاجل نقض العهد .

ويقول ابن بشر : إن سعود عزل – بعد ذلك – رئيسي المجمعـة وجلاجل وأخرجهما من بلديهما واستعمل عبد الله بن جلاجل أميراً على بلدان سدير ومنيخ.

المعارك مع أهل حرمة وحلفائهم :

في سنة ١١٩٣ هـ. عزم أهل حرمة على رفع لواء العصيان ، ورأوا أنه لا بد لهم من الاستيلاء على « المجمعة » ، لأن فيها عدداً غير قليل من الموحدين وعندهم مرابطة من جند عبد العزيز يتهددون سلامة حرمة وأمنها في كل حين، ولكنهم أدركوا عجزهم عن القيام بهذا العمل منفردين ، فكتبوا الى سعدون بن عريعر ، رئيس الأحساء وبني خـالد ، يلتمسون منه النصرة ، واستدعوا أهل الزلفي للإنضمام اليهم فقبلوا وتواعدوا على يوم معلوم يهجمون به على المجمعة هجمة واحـدة على حين غفلة من أهلها ، وقبيل موعد الهجوم بقليل ألبسوا (أناساً منهم ثياب النساء الغواني ، وأمروهم أن يسيروا الى المجمعة .. ويصعدوا الى بروج القلعة ، حتى يدهموا المسلمين في البلد ، ثم تكون لهم فيها منعة .. فلما بادروا الى ذلك .. وصعدوا الى تلك البروج فأمسكوها .. تنبّه أهل المجمعة لكيد المعتدين) .

أقـام مقاتلة حرمة وحلفاؤهم من أهل الزلفي ونصيرهم سعدون بجموعه الكبيرة محاصرين للمجمعة أياماً ، وأخذوا يقطعون النخيل ويفسدون الزرع ، وكاد أهل المجمعة يطلبون الصلح لولا أن مدداً جاءهم من الامام عبـد العزيز ، وذلك أنه أرسل الى حسن بن مشاري بن سعود ، في بلد جلاجل، أن يجهز سرية لمناصرة المجمعة ، فسارت السرية ليلاً واستطاعت الوصول الى البلد من غير أن يفطن لها المحاصرون ، وكان أهل المجمعة متحصنين في قلعة البلد ، فألقوا لرجال السرية الحبال فتعلقوا بها وصعدوا الى القلعة سالمين .. ولما عرف سعدون وأهل حرمة والزلفي بوصول هـذه النجدة الجريئة الى المجمعة يئسوا من التغلب عليها

(وقد كانت ضاقت صدور البوادي من الحصار ومن حبسهم مواشيهم، فرحلوا عن المجمعة منصرفين ، ورجع أهل الزلفي الى بلادهم ، فاستقرت الحرب بين أهل المجمعة وأهل حرمة) .

عبد الله ينازل أهل حرمة :

بعد فك الحصار عن المجمعة ، جهز عبد العزيز أخاه عبد الله وأرسله لغزو حرمة ، فوقع بينه وبين أهلها قتال ، سقط فيه عدد من رجال حرمة قتلى ، كما قطع عدداً كبيراً من نخيل البلد ، ثم رجع عبد الله الى الدرعية .

سعود يدمر سور حرمة ويهجِّر متمرديها :

بعد عودة عبد الله ، خرج سعود واستنفر معه أهل البلدان ونزل على بلد حرمة وحاصرها أشد الحصار وقطع شيئاً من نخيلها وما زال يضيق على أهلها ويقاتلهم حتى ملأ الرعب قلوبهم ، فأرسلوا الى سعود يطلبون المصالحة فصالحهم (على ما في بطن الحلة من الأنفس والأموال) ، فلما استقر الصلح كتب إلى أبيه يخبره بذلك ، فكتب اليه عبد العزيز : (ان أهل هذه القرية تكرر منهم نقض العهد ، وهي محذور كلها ، فدمرها واهدمها) .

فأمر سعود بهدم سورها وبعض من بيوتها ، وأمر أيضاً على اناس من أهلها ممن أثار الشر على المسلمين أن يرتحلوا عنها ، فارتحل اناس كثيرون ونزلوا المجمعة وكثير منهم نزل بلد الزبير .

تلك رواية ابن بشر ، وأما ابن غنام فلا يشير اطلاقاً الى كتاب عبد العزيز ، ويقول ان أهل حرمة صالحوا وعاهدوا واشترطوا من سعود (جميع ما في البيوت من الأموال والطعام .. فأمر بهدم جميع القصور وإزالة ما فيها من الدور ، وبجلاء آل مدلج كافة) .

غزو الزلفي عام ١١٩٤ هـ :

غزا سعود بالمسلمين بلدة الزلفي – في سدير – وكانوا قد أنذروا به فاستعدوا

له ، وجرى بينهم قتـــال سقط فيه بعض الرجال ، ثم رجع سعود بجنده إلى الدرعية .

وفي نفس العام غزا عبد الله بن محمد بلدة الزلفي أيضاً فلم ينل من أهلها منالاً فرجع عنهم .

ويقول ابن بشر ان المسلمين عادوا إلى غزو الزلفي وأشعلوا النار في زروعها، فبايع أهلها على دين الله ورسوله والسمع والطاعة .

غزوة الأحزاب للروضة .. ثم استيلاء سعود عليها :

يقول ابن بشر في أخبار سنة ١١٩٦ هـ . ان سعدون بعد ارتحاله من بريدة سار ونزل قرب الزلفي (وأقام عليه أياماً واجتمع معـه أناس كثير من أهل الخرج وغيرهم ، ثم ارتحل ونزل « مبايض » الماء المعروف فأقام عليه وصار معه أناس كثيرون من جلوية البلدان من أهل حرمة وآل ماضي أهل الروضة وأهل الزلفي وزيد بن زامل بأهل الخرج وأقاموا أياماً على مبايض يديرون الرأي في أي بلد يسطون فيها من سدير فأجتمع رأيهم على السطوة في بلد « الروضة » .

فلما كان بعد عيد النحر من هذه السنة سار اليها آل ماضي ومن معهم من قبيلتهم وجماعتهم وسار معهم آل مدلج وغيرهم من أهل سدير والزلفي وسار معهم أيضاً زيد بن زامل ومن معه من أهل الدلم واهل الخرج ، فسار الجميع ليلاً وسطوا فيها قبيل الصبح واستولوا عليها ، وكان في الحصن الذي في وسط البلد جماعة مرابطة من جهة عبد العزيز من أهل العارض وغيرهم..فأنزلوهم من الحصن بالأمان ، وأخرجوهم من البلد .

ورحل سعدون من مبايض ونزل الروضة وأقام فيها حتى استقر فيهـا آل ماضي وضبطوها .. ثم رحل منها سعدون وتركها ، وتفرق أهل البلدان الذين سطوا معه فيها ، ومن ساعة رحل سعدون والرعب وقع في قلوب آل ماضي.. ثم صار أهل سدير يواقعونهم بالقتـال في كل وقت ، وأقبل امداد من العارض والمحمل وكثرت عليهم الوقائع وضيقوا عليهم) ..

وخلال ذلك كان سعود نازلاً في (ثادق) فرحل منها وجاء إلى الروضة .. فاشتد على أهلها القتال، واستولى سعود على شطر كبير من النخيل وأخذ يقطع الأشجار وأنزل اهل البروج من بروجهم وبقيت قلعة البلد وحدها فأرسلوا إلى سعود وطلبوا المصالحة وبذلوا له كثيراً من الدراهم نكالاً ، فصالحهم على حقن الدماء وما في بطن الحلة من الأموال، وأن يرحل عن البلد:آل ماضي واعوانهم فاستولى سعود على البلد وأجلاهم عنها ، ومدة لبثهم فيها وحربهم شهر .

وكانت بلدة الداخلة في ذلك الحرب ملجأ لمقاتلة المسلمين [1] .

بيعة وادي الدواسر :

يقول ابن بشر ، في أخبار سنة ١١٩٩ هـ . ، أن رئيسي وادي الدواسر ، ربيع وبدن ، ابني زيد ، حضرا الى الدرعية ومعهما (رجال من رؤساء قومهما على الشيخ وعبد العزيز ، وبايعوا على دين الله ورسوله والسمع والطاعة) .

ويبدو أن هذه البيعة كانت قاصرة على هذين الزعيمين وفئة صغيرة معهما ، أما بيعة وادي الدواسر الاجتماعية فلم تتم إلا عام ١٢٠٢ هـ. (وذلك بعد محاولات ومقاتلات عديدة) .

هذا كل ما نجده في ابن بشر عن بيعة وادي الدواسر .

أما ابن غنام فيعطينا تفاصيل طريفة عن جهاد الأخوين ربيع وبدن في سبيل نشر الدعوة بين أبنـــاء الوادي . ومن المفارقات اللطيفة أن المؤرخ الفرنسي « مانجان » يورد لنا ، في شيء من الاختصار ، نفس الرواية التي نجدها في ابن

---

(١) تلك رواية ابن بشر ، ويقول ابن غنام ان سعدون حاصر الداخلة فلما بلغه ظهور سعود حصل له الرعب والارجاف وولى مدبراً .. وإن رجالاً من أهل الإيمان من سدير وغيرهم بادروا أهل الروضة القتال قبل مجيء سعود اليها وقتلوا من أهلها عدة رجال وحصروا الأهلين .. ولـــا جاء سعود استولى على جميع الحلل التي كانت في النخل وشرع في قطع النخل والأشجار فطلب الأهلون الصلح وعاهدوا على الإسلام .. وأمر عليهم عبد الله بن عمر .

غنام ، مع أنه لم يأخذها عنه ، وها نحن نورد روايته ثم نتبعها بخلاصة وافية لأقوال ابن غنام .

رواية مانجان :

أخذ الأخوان ربيع وبدن ، بعد عودتها من الدرعية ، يدعوان أهل وادي الدواسر الى اعتناق المذهب الحنبلي الوهابي ، فامتنع من ذلك وجهاء الوادي ، وجرى قتال بين الفريقين ، فتحصن الأخوان ومَن معهما في شبه حصن أقاماه في قرية « دام » ولم يستطع خصومهم اقتحامه ، ولذلك عمدوا الى إلقـاء حمار ميت في بئر الماء التي يستقي منها رجال الحصن ، فحفر أصحاب الحصن بئراً جديدة ، ثم أرسل ربيع الى خصومه يطلب الهدنة وأهدى الى زعيمهم فرساً ، فانعقدت الهدنة بينهما ، وخـلال ذلك طلب ربيع من الأمير عبد العزيز مؤناً وذخائر ، فأرسلها اليه فتقوّى بذلك وامتنع ، وعاد القتال بينه وبين خصومه مرة اخرى ، فصنع هؤلاء (مصفحتين) ووضعوا في كل منها ثلاثين رجـلا ، وتقـدموا نحو الحصن ، ولكن إحدى المصفحتين تحطمت وتطايرت صفائحها وتكشفت عن الجند الذين فيها .. وبعد حصار طويل ومناوشات كثيرة اقترح المهاجمون على ربيع الخروج من حصنه بأمان، فقبل وخرج وذهب الى الدرعية، فأعطاه عبد العزيز مالاً وسلاحاً وذخيرة ، وأثنى عليه وشجعه، فعاد الى الوادي وأقام حصناً جديداً ، واستمر يقاتل الأهـالي حتى أتعبهم ، فلجأوا الى رئيس نجران يلتمسون منه العون والنصرة ، فأقبل اليهم وعـالج الحصن فلم يستطع اقتحامه.. ولذلك رأى زعماء الدواسر أن أفضل وسيلة لضمان سلامتهم وأمنهم هي الطاعة لعبد العزيز ، فخاطبوا في هذا الأمر « ربيعاً » فأشار عليهم بالذهاب الى الدرعية ، ففعلوا ، وهنـاك قدموا طاعتهم .. ولكنهم عادوا الى العصيان بعد ستة أشهر ، فسار اليهم أمير الخرج سليمان بن عفيصان ، وهزمهم ، فطلبوا الصلح ، وفرض عليهم عبد العزيز ألفي بندقية وألفي ريال .

خلاصة رواية ابن غنام :

في عام ١٢٠١ هـ . وفَدَ ربيع وبدن ، رئيسا المخاريم، على الدرعية وبايعا ، ثم عادا الى الدواسر يدعوان بدعوة التوحيد ، فنفرت منها الجماهير وناصبتها العداء ، فبنيا لأنفسهما ولمن تبعهما قصراً منيعاً ، ثم جددا الدعوة وأحرقا شجرة كان يتعبّدها الأهالي ، فغضب الأهالي لمعبودهم وساروا الى القصر وحاصروا الأخوين وجماعة الموحدين ثلاثة أيام فلم ينالوا منهم منالاً ، فعمدوا الى إلقاء حمار ميت في بئر القصر ، ولكن أهل القصر حفروا لأنفسهم بئراً جديدة ، ثم أهدوا الى رئيس العصابة الثائرة فرساً فارتد عنهم بمن معه ، ثم أرسل ربيع الى عبد العزيز يخبره بما كان ويستنصره ، فأمدّه بمال وسلاح وزاد ، وكتب الى مبارك بن عبد الهادي أن يساعد ربيعاً ، فأسرع اليه ونزل في القصر ، فحاول جماعة « الخطاطبة » أن يبنوا قصراً أمام قصر ربيع ، ولكن جماعة ربيع حالوا دون ذلك ، فعمد الخطاطبة الى صنع « زحافات » من خشب ، في كل منها ثلاثون رجلاً ، وتقدموا نحو القصر فانكشفت إحدى الزحافات وقتل الموحدون تسعة من رجالها ، ثم أتبعوهم بسبعة آخرين ، وأخذوا منهم أسلحة ودروعاً ، ولما رأى أهل الوادي عجزهم عن الموحدين وتكاثر خسائرهم وضحاياهم، طلبوا من الموحدين الخروج من القصر بأمان ، ففعلوا وذهبوا الى الدرعية ، فأحسن عبد العزيز وفادتهم وأكرمهم ، ثم عادوا الى الدواسر وبنوا قصراً جديداً يقابل قرية « تمرة » ، وراحوا يشنون الغارات منه على قرى الوادي ، فأذعنت لهم عشائر كثيرة وفي طليعتها (الحنابجة) ، ودخلوا في الدعوة ، ولذلك رأى رؤساء الدواسر المناهضون للدعوة ، وفي مقدمتهم رؤساء الرجبان والوداعين ، أنهم عاجزون عن الاستمرار في الكفاح ، فلجأوا الى رئيس نجران لإنجادهم ، فأقبل الى الوادي وقاتل جماعة الموحدين ، وأكثرهم من الحنابجة ، فأنزلوا به

خسائر فادحة ، واضطر الى التراجع والعودة الى بلاده مهزوماً ذليــلاً .. وكان نصر الموحدين عظيماً وكانت آثاره سريعة ، فجـــاء الرجبان وجميع الوداعين وبايعوا ، وتتابعت على ذلك القرى مُكرَهة ، ولكنهم عـادوا الى العصيان والفساد بعد ستة أشهر ، فكتب عبد العزيز الى سليمان بن عفيصان أن يجهز جيشاً لقتالهم ، ففعل ، (وقدم عليهم عجلاً ، ودام فيهم القتل والقتـال ، حتى انكأ أهل الضلال ، ونكد عليهم العيش والبال ، وضاق عليهم الحال .. فبعـد ذلك رغبوا في الإسلام ودانوا .. فقدموا الى الدرعية .. فعاهدوا عبـــد العزيز على الإسلام ، وشرط عليهم .. ألفي ريال وألفي أتفق .. أن تسلم في الحال .. فالتزموا بذلك ووفوا به وسلموه) .